

تأطير القضايا الدينية من خلال المناظرات الإعلامية

د. احسن خشة

جامعة 08 ماي 45 قالمة

khaahcene@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2017/05/03 / القبول: 2018 / 01/14 / النشر على الخط: 2018/06/15

Received: 03/05/2017 / Accepted: 14/01/2018 / Published online: 15/06/2018

ملخص

يتضمن هذا المقال تحليلاً للخطاب الديني الوارد في مناظرة بعنوان: "هل الإسلام دين سلام؟"، ويتمحور حول القضايا التي تم التطرق إليها، وكذا الأدلة المعتمد عليها لدى كل طرف حول الموضوع، إضافة إلى الإطار الإعلامي والياتي المستخدمة فيه. ونسجل أن الخطاب الذي يعتبر الإسلام دين عنف يعتمد الانتقائية أسلوباً في إبراز صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين سواء تعلق الأمر بأحداث تاريخية سالفة أو أمثلة واقعية معاشية، إضافة إلى قراءة معزولة عن السياق والظروف لبعض الأحكام والتعاليم الدينية. بينما يركز الخطاب الذي يدافع عن الدين الإسلامي على ضرورة التمييز بين القيم الدينية والتجارب التاريخية. إضافة إلى التأكيد على تعددية التفاسير وكيفية قراءة النصوص الدينية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني، المناظرة الإعلامية، الإطار الإعلامي.

Religious issues framing through media debates

Abstract:

This article focuses on religious discourse analysis of a debate entitled "is Islam a religion of peace?", the analysis mentioned the different issues, and arguments of debaters, in addition to the media frame and its mechanisms.

We notice that the discourse which considered Islam as a religion of violence used selectivity as a method of presenting misleading picture about Islam and Muslims, furthermore historical events or current examples, besides an isolated reading of religious rules. On the other hand the discourse which defends Islam, concentrate on the distinction between religious values and historical practices, therefore the diversity of reading the religious texts.

Keywords: Religious discourse, media debate, media frame.

مقدمة :

يتمحور هذه المقال حول قراءة تحليلية لما تضمنته مناظرة إعلامية جرت في 5 أكتوبر 2010 موضوعها: هل الإسلام دين سلام (Is Islam a religion of peace?)، وجرت من جهة بين كاتب وصحفي ومتحدث بريطاني المولد وأمريكي الجنسية (Christopher Hitchens)، معروف بإحاده ونقده للأديان، ومن الجهة المقابلة كاتب وأستاذ في الدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة أكسفورد بريطاني (Tarek Ramadan)

تكمن أهمية الموضوع في عدة اعتبارات أساسية:

أولاً: أهمية محتوى المناظرة كونه يتعرض لموضوع الدين بشكل مباشر، مما يسهم في تحديد المواقف والتصورات إزاء القضايا الدينية، وهنا يمكن التعرف على مظاهر التخويف من الإسلام (الاسلاموفوبيا)². وكذا مسارات البرهنة لدى من يدافع عن الدين، ويتميز بثقافة أوربية³.

ثانياً: أهمية المناظرات كأسلوب في التواصل وتبادل الآراء والأفكار مما يسمح بمعرفة مواطن الالتقاء والافتراق بين مختلف الأطروحات الفكرية إزاء المسألة الدينية.

ثالثاً: أهمية المصادر الإعلامية ممثلة في المشاركين في المناظرة، ويتميزان بحضورهما في وسائل الإعلام، و كليهما يعتبران مثيرين للجدل، إضافة إلى التناقض الكبير في أفكارهما واتجاهاتهما إزاء المسألة الدينية على وجه التحديد، خصوصاً أن أحدهما من دائرة المؤمنين بالأديان (Tarek Ramadan)، وثانيهما لا يؤمن بأي دين (Christopher Hitchens). الأمر الذي يضفي على المناظرة طابعاً استثنائياً، يستثير فضول المتابعة والاهتمام. نريد التعرف من خلال هذه المقال على بعض جوانب الخطاب الغربي إزاء الدين الإسلامي، وكذا التعرف على بعض خصائص الخطاب الديني الإسلامي المعاصر.

أولاً: تعريف بالمصطلحات الأساسية في البحث:

1- الخطاب:

جاء في معجم اللسانيات: "الخطاب⁴ وحدة مساوية للجملة أو أكبر منها مؤلفة متوالية تشكل رسالة ذات بداية ونهاية"⁵. إن الخطاب بشكل مختصر هو صياغة معينة يراد بها فهم الواقع والتعبير عنه بطريقة تساعد في الكشف عن ملابسات الواقع الاجتماعي، ويكون ذلك متاحاً في وجود عدة خطابات تعبر عن نفس الواقع لكن بطرق مختلفة ومقاربات متعددة.

¹ لقد تكرر مثل هذا السؤال في برامج إعلامية أخرى نذكر منها برنامج "The big question" الذي يبث في قناة BBC :

هل الإسلام يشجع على العنف؟ هل الإسلام دين غير متسامح؟ Does Islam encourages violence? Is Islam an Intolerant religion ?

² قامت مؤسسة The Runnymede Trust بأول محاولة جادة لتعديد مفهوم الاسلاموفوبيا سنة 1997 حيث ضبطته وفقاً ثمانية معايير محددة: منها: "الربط العضوي بين العنف والإسلام واعتباره مفطوراً على الإرهاب ومنتشراً بحد السيف" "النظر للإسلام باعتباره إيديولوجية سياسية تروم تحقيق مكاسب سياسية وعسكرية على حساب الآخرين" "النظر للإسلام بدونية واعتباره ديناً بربرياً بدائياً جنسي النزعة ولا يمت للعقلانية بصلة".

³ يقدم طارق رمضان نفسه على أنه سويسري الجنسية، مصري الذاكرة، مسلم الديانة، أوربي الثقافة.

⁴ وردت كلمة خطاب في القرآن الكريم، بعدة معاني منها، ما ورد في قوله تعالى "رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً" سورة النبأ، الآية 37، أي لا يملكون خطابه وهم أهل السماوات والأرض، ومعنى غلبي في الحديث "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب" سورة ص، الآية 23

⁵ Dubois,j, et autres: dictionnaire de linguistique, Paris, Librairie Larousse, 1973, p156

والخطاب يقتضي الحوار والمشاركة، بقصد تمرير رسائل معينة موجهة للمتلقي الذي يستقبلها أو يعرض نفسه عليها. وهذا يقودنا إلى أن هناك عدة طرق للحديث عن الواقع، أو بمعنى آخر هناك عدة خطابات لنفس الواقع، ولا يتأتى ذلك إلا بإضفاء الأبعاد الإيديولوجية والثقافية التي توطر الخطاب وتحوله إلى رسالة معينة تقصد إحداث تأثير ما على المتلقين.

بخلاف الموضوع المجرد "النص"، فإن الخطاب هو موضوع ملموس، ينتج في وضع معين، وفي شبكة معقدة من المحددات الاجتماعية و الإيديولوجية والنفسية. بحيث يتم تناوله ليس فقط من زاوية لغوية، وإنما من زاوية تاريخية اجتماعية نفسية، وبخلاف النصوص يجب اعتبار الخطابات بالارتباط مع المؤسسات التي تظهر فيها، وهكذا نتكلم عن الخطاب الديني والحقوقى، والصحافي والأدبي والسياسي...1

2- الخطاب الديني: يقصد بالخطاب الديني الإسلامي كل خطاب يتمحور مضمونه حول الإسلام بيانا وعرضا له، وتحليلا أو نقدا لنصوصه، ودعوة إليه² أو صدا عنه، سواء كان ذلك في المجال الفقهي أو العقائدي أو الفكري³

3- المناظرة: لغويا: المناظرة قريبة من الحوار، بل هي فرع منه. وأصلها من النظر، والنظر من حيث الدلالة اللغوية قد يقع على الأجسام والمعاني. فما كان من الأبصار فهو للأجسام، وما كان من البصائر كان للمعاني⁴.

ويقترّب معنى المناظرة من مصطلح الجدال، مثلما نجد في تعريف ابن خلدون (ت 808هجرية) مصطلح الجدال بأنه "معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم"⁵

المناظرة اصطلاحاً: هي المحاورّة بين شخصين حول موضوع، يقصد كل واحد منهما إثبات وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر صاحبه، مع رغبته الصادقة في ظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره⁶

وفيما يرتبط بالمناظرة المعنية بالتحليل من خلال هذا البحث، فانه يمكن اعتبارها مناظرة دينية بناء على عدة اعتبارات:

1- أن موضوعها مرتبط بالدين الإسلامي

2- أن المشاركين في المناظرة أحدهما ينتسب إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد "طارق رمضان" مهتم بالقضايا الدينية الإسلامية وله كتب في الموضوعات الدينية، وثانيهما له أفكار الحادية معادية للدين "كريستوفر هيتشنز"، وله كتاب حول موضوع ديني ومعروف أيضا بمناظراته حول الدين⁷.

ثانيا: مشكلة البحث:

¹ دورون رولان، فرنسوا بارو، موسوعة علم النفس، المجلد الأول، تعريب فؤاد شاهين، بيروت، منشورات عويدات، 1997، ص ص 344، 345

³ رباب رأفت الجمال، دور الخطاب الديني بالصحف المصرية في تلبية احتياجات الجمهور، دراسة في إطار نظرية التماس المعلومات، المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر، مستقبل وسائل الإعلام العربية، الجزء الرابع، 3-5 مايو 2005، نقلا عن: عبد الملك منصور: خصائص الخطاب الإسلامي المعاصر. سلسلة فكر المواجهة، جامعة الأزهر، العدد الثالث، 2002، ص 65

⁴ طارق بن حبيب، كيف تحاور، مؤسسة الجريشة، ط 14، 1426، ص 14

⁵ المرجع السابق

⁶ إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي، الحوار والمناظرة في الإسلام: أحمد ديدات نموذجاً في العصر الحديث، متاح على الرابط: uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/admins/pag3643/11.pdf

⁷ على سبيل المثال مناظرته مع رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلار بعنوان: هل الدين قوة خير في العالم Is Religion a Force For Good in "The World"

ومناظرته مع Timothy Jackson بعنوان "كيف سمم الدين كل شيء؟" How Religion poisons Everything

تروم هذه الدراسة معرفة المنظور الذي يتبناه بعض المفكرين بشكل مباشر حول الدين الإسلامي، سواء في صفوف المعادين له، والانتقادات التي يوجهونها إليه بصورة علنية ومباشرة، أو بين من يدافعون عنه و ماهي أساليبهم واليات الإقناع التي يعتمدونها في ذلك. وللإجابة على الانشغال الأساسي السالف بيانه، ولكون الدراسة تتعلق بتحليل الخطاب الديني الذي تسوقه الشخصيات الفكرية حول المسألة الدينية قبولاً أو رفضاً، فإن أسلوب تحليل المضمون يفرض نفسه في هذا الإطار، وهو ما يمكننا من الوقوف على دلالات الرموز التي يستخدمها الخطاب لتمرير أطروحاته، إضافة إلى تكرار ظهور هذه الخصائص اللغوية والدلالية، ومدى ارتباطها بإيديولوجية أصحاب الخطاب.

ومن الطبيعي أن تتعدد الأفكار المطروحة إزاء المسألة الدينية نظراً للتناقض الكبير بين المشاركين في المناظرة الإعلامية، ونتوقع أن يتم عرض وجهات النظر في قوالب وأطر محددة ومن خلال صياغة معينة للأفكار والمفاهيم، بالطريقة التي تجعل الخطاب متوافقاً مع انتظارات الأغلبية التي تحرص على استمالتها والتأثير في اتجاهاتها لكي تحقق المقاصد التي تسعى إليها. تتبلور مشكلة البحث حول سؤال أساسي مؤداه رصد وتحليل المرتكزات الأساسية التي قدمها الخطاب الديني تجاه موضوع هل الإسلام دين سلام؟

ثالثاً: تساؤلات الدراسة:

- 1- ماهي القضايا الفرعية التي تمت مناقشتها في المناظرة؟
 - 2- ماهي الأدلة التي اعتمد عليها كل طرف لإثبات وجهة نظره؟
 - 3- ماهو الإطار الإعلامي الذي اعتمده كل طرف في المناظرة في تقديم وجهة نظره من الموضوع؟
 - 4- ماهي آليات التأطير الإعلامي التي اعتمد عليها كل طرف في المناظرة؟
- رابعاً: الإطار النظري: تستند هذه الدراسة على نظرية الإطار الإعلامي والتي تقوم على افتراض مؤداه أن الأحداث لا تنطوي في حد ذاتها على مغزى معين، وإنما تكتسب مغزاهاً من خلال وضعها في إطار يحددها وينظمها ويضفي عليها قدراً من الاتساق من خلال التركيز على بعض جوانب الموضوع وإغفال جوانب أخرى. فالإطار الإعلامي هو تلك الفكرة المحورية التي تنتظم حولها الأحداث الخاصة بقضية معينة¹.

وهناك أربع وظائف لتحليل الإطار الإعلامي²: تحديد المشكلة أو القضية بدقة -تشخيص أسباب المشكلة -وضع أحكام أخلاقية- اقتراح سبل العلاج

ويتضمن الإطار الإعلامي ثلاثة مكونات أساسية هي³: -البناء التركيبي (الشكلي) للقصة الإخبارية -الفكرة المحورية -الاستنتاجات الضمنية

كما يصنف سيمون وينجار⁴ الأطر الإعلامية إلى :

- أطر محددة: وهو يركز على شرح القضايا المثارة من خلال طرح نماذج ملموسة ووقائع محددة، مثل: حادث اغتيال، انفجار مبنى.
 - الأطر المجردة: وهي على النقيض من سابقتها حيث يعالج القضايا المثارة في سياق مجرد أو يتسم بالعمومية مثل: إرجاع الأسباب إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة، أو بسبب التغيرات الاجتماعية، أو المتغيرات الدولية.
- ونشير في هذا المجال إلى أن تشكيل الإطار الإعلامي للمحتوى يتسم بالاتي⁵

¹ حسن عماد مكاوي، ليلي السيد، مرجع سابق، ص 348

² الفضائيات العربية ومتغيرات العصر، أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2005، ص 649

³ حسن عماد مكاوي، ليلي السيد، مرجع سابق، ص 349

⁴ حسن عماد مكاوي، مرجع سابق، ص 350

⁵ محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، 2004، ص 404

-انه عملية تنظيم للمحتوى الإخباري قد يتفق مع القيم الإخبارية السائدة أو لا يتفق حسب الهدف من العملية ذاتها.
-لا يقف الهدف عند حدود إثارة الاهتمام بالمحتوى ولكنه يهدف إلى الإقناع والتأثير بالدرجة الأولى .
-لا يهدف إلى غرس أفكار أو قيم جديدة ولكنه يقوم على الاستفادة من الأفكار والقيم الموجودة فعلا في الواقع الاجتماعي .
-يحاول تحقيق الاتساق بين ما يدركه الجمهور عن الواقع الاجتماعي، وما يقدمه هذا التشكيل اعتمادا على هذه المدركات.
-يهدف تحقيق الاتساق المذكور إلى تفعيل عملية تمثيل المعلومات في استعادة المعلومات وتفسير الرموز والمدركات الاجتماعية التي يتبناها تشكيل الأطر الإعلامية

آليات التأطير الإعلامي:

تجدر الإشارة إلى أن عملية التأطير يستخدم فيها آليات متعددة تتداخل فيما بينها، ويمكن أن نورد فيما يلي أهم الآليات المستخدمة:

1- التلميحات الاجتماعية:

يعتمد تشكيل " الأطر الإعلامية للرسائل و النصوص على الرموز و المعاني السائدة و التلميحات الاجتماعية التي نعيش أسرى لها في حياتنا اليومية و تستخدمها وسائل الإعلام لنشر الأفكار و الآراء المستهدفة و تعزيزها¹ .

ويعتقد "غوفمان" أننا نستخدم مهارتنا المعرفية في إدراك أحداث الحياة اليومية، وبناء على ذلك فإن هذه النظرية التي صاغها هذا العالم تشير إلى أن التلميحات الاجتماعية التي نتعلمها من خلال تعرضنا لوسائل الإعلام نعلم عليها أيضا في إدراك حدود عالمنا الاجتماعي²

2- الانتقاء:

وهو الآلية الثانية التي تضمنها تعريف "انتمان" للتأطير باعتباره أساس هذه النظرية من خلال عملية اختيار وفق معايير مهنية ، وذاتية ، ومؤسسية ، وثقافية يقوم بها القائم بالاتصال أو الوسيلة الإعلامية عند تغطية حدث أو قضية أو شخصية ما بالتركيز على جوانب وزوايا معينة.

3- الاستبعاد أو الإغفال:

ويمثل الوجه الآخر للانتقاء ويرتبط أيضا مثله بمفاهيم ثلاثة على درجة من الأهمية في نظرية التأطير ومناقشة واختبار تأثيراته وهي : الموضوعية ، والايديولوجيا ، وحراسة البوابة، والسؤال الذي يفرض نفسه حاليا هو كيف يمكن لوسائل الإعلام خاصة الصحف الاعتماد على هذه الآلية ؟ ويجب عليه: عندما أوضح أنه "يمكن للصحف أن تقوم بتأطير حدث ما غير مهم وذلك بعدم تغطيته صحفيا على الإطلاق " 3

4- إعادة التأطير

وهذه الآلية ترتبط بسابقتها سواء فيما يتعلق بالنسبة للصحفيين وصحفهم أو بالنسبة للجمهور الذي يعني ذلك بالنسبة له أن أفرادهم يمارسون نشاطا في مواجهة تأثيرات وسائل الإعلام وأنهم ليسوا حاملين كما كانت تؤكد نظريات إعلامية سابقة مثل " نظرية الحقنة تحت الجلد " وإنهم لا يتبنون بصورة مطلقة الأطر التي تقدمها لهم هذه الوسائل في بعض الأحيان ، ويمكن أن نوضح مفهوم إعادة التأطير عند مقارنته بمفهوم التأطير ذلك أن الأخير " هو أحد الطرق والأساليب المتاحة لرؤية شئ ما، أما إعادة التأطير فتعني رؤيته بشكل مختلف " أي أنه " عندما تنتقل من مجموعة أطر لأخرى فنحن نقوم بعملية إعادة تأطير للمواقف وهيكله خبراتنا تجاهها فتصبح إما أكثر أو أقل جدية⁴

¹ محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، 2004، ص 402

² Stanly J. Baran and Dennis K. Davis, Mass communication Theory: Foundations, Ferment, and Future, U.S.A: Wadsworth, 2003, p. 275

³ أحمد زكريا أحمد، مرجع سابق، ص 252

⁴ المرجع السابق، ص 249

5- الاستعارات والكلمات الدالة و اللغة المجازية :

فالاستعارات تستخدم في النصوص الإعلامية كي تضفي على الأشياء أو الأحداث نوعا من التهويل والتضخيم أو التهوين بخلاف ما تبدو عليه في الواقع ، فالأطر الإخبارية تتكون من : كلمات دالة ، واستعارات ، ومفاهيم ، ورموز. ويكمن جوهر التأطير في المبالغة أو التهوين لعناصر تصوير الواقع . وأثبت "كيم" أن البناء الدلالي لتأطير اسقاط المقاتلات السوفياتية لطائرة ركاب كورية جنوبية عام 1983 اعتمدت على مفردات لغوية وكلمات دالة مختلفة باختلاف إيديولوجيات ثلاث صحف هي نيويورك تايمز الأمريكية، قرانما الكويتية، ذو كوران هيرالد الكورية¹

خامسا: التحليل الكيفي للمناظرة:

بيانات عامة:

1-عنوان المناظرة: هل الإسلام دين سلام ؟ Is Islam a religion of peace?

2- لغة المناظرة: اللغة الانجليزية.

3-طرفي المناظرة: الأمريكي Christopher Hitchens من أمريكا والسويسري Tarek Ramadan

4-المكان: الولايات المتحدة الأمريكية.

5-التاريخ: الخامس من أكتوبر 2010

6-الزمن الكلي للمناظرة: ساعة وواحد وثلاثون دقيقة وواحد وعشرون ثانية(1.31.21)

7-التعريف بالمشاركين في المناظرة:

أ-كريستوفر هيتشنز: Christopher Hitchens ولد في 13 أفريل 1949، وتوفي في 15 ديسمبر 2011. هو كاتب وصحفي انجليزي-أمريكي. وهو واحد من أكثر الشخصيات إثارة للاهتمام وللجدل أيضا في الصحافة الانجليزية والأمريكية. نشر له أكثر من اثني عشر كتابا، آخرها "الحب، الفقر، والحرب: رحالات ومقالات. وكان له عمود في عدد من المجلات، بالإضافة إلى كتابات في النقد الأدبي. وهو معروف بلحاده ومعاداته للأديان. ومن كتبه "الرب ليس عظيما" ("God is not Great") الذي انتقد فيه الديانات الإبراهيمية، بالإضافة إلى الديانات التي لم تكن تنتقد في الأوساط الغربية مثل الهندوسية. كما أنه معروف بمعاداته ونقده للصهيونية.²

ب- طارق رمضان: Tarek Ramadan: من مواليد 26 أغسطس 1962 جنيف سويسرا. هو مفكر سويسري من أصل مصري، وهو حفيد مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا، ونجل الدكتور سعيد رمضان سكرتير البنا. يعمل طارق رمضان كأستاذ دكتور متخصص في الفكر الإسلامي ومحاضر في جامعة أكسفورد أعرق جامعات بريطانيا وجامعة فرايبورغ بألمانيا، يتركز اهتمامه في التجديد الإسلامي وبحث قضايا المسلمين في الغرب، ويعتبر احد القيادات الإسلامية في أوروبا.

من مؤلفاته: "To be a European Muslim" - "In the footsteps of the Prophet"

"Muhammad, vie du Prophet" - "Western Muslims and the future of Islam"

"Jihad, violence, guerre et paix en Islam" - "L'Islam en question"

ومن ضمن ما كتب عن طارق رمضان: Caroline Fourest: "Frère Tarek: Discours, stratégie et méthode de Tarek Ramadan"

4-ملاحظات ودلالات:

¹ المرجع سابق، ص 249

² Ar.m.wikipedia.org

أ-افتتح Christopher Hitchens مداخلته الأولى بتحيةة الإسلام "السلام عليكم" إضافة إلى تحية عربية "شالوم". في الوقت الذي حرص فيه على جمع الأدلة التي تدين الدين الإسلامي ونفي صفة السلام عنه، فإن إيثار استخدام عبارة "السلام عليكم" بلفظ عربي عوضاً عن التعبير الإنجليزي الأكثر انسجاماً مع لغة خطابه في المناظرة، قد تحمل إشارة سلبية مؤداها أن البون شاسع بين أقوال المسلمين وممارساتهم. خصوصاً وأن هذا التعبير يرتبط بالمسلمين، ومن المعتاد استخدامه بلفظ عربي أو أجني لدى المسلمين. أما الإشارة إلى اللفظ باللغة العربية، فربما يحمل معاني سياسية، مثل التذكير بالصراع الدائر في منطقة الشرق الأوسط، ويعتقد هيتشنز أن العقبة الأولى التي تحول دون قيام دولتين سببه ديني¹ وقد يكون من باب المجاملة للهيئة المشرفة على هذه المناظرة والتي يقوم على الإشراف عليها أشخاص ذوو توجه يهودي.

ب-أشار Tarek Ramadan في تدخله الثاني إلى أن Christopher Hitchens يعتمد إضحاك الجمهور، في الوقت الذي تطرق الحديث السابق عن القتل وضحايا الحروب. وهو ما يعد انتقاداً لأسلوب "هيتشنز" الذي عرف عنه استخدام هذا الأسلوب في مناظراته.

ج-حرص Tarek Ramadan على الحديث عن الأديان بصفة عامة والإشارة إلى النصوص الدينية المسيحية واليهودية والإسلامية وحتى البوذية. وربما يكون الطرف الآخر المعروف بإلحاده هو الدافع وراء عملية تحشيد المؤمنين بالأديان في "مواجهة" من يرافعون عن الإلحاد. ويبرز ذلك جلياً في قوله "عندما أرى أشخاصاً يتحدثون عن الدين من الخارج (ليسوا بمؤمنين)"

1- القضايا الفرعية تمت مناقشتها في المناظرة:

تطرق Christopher Hitchens إلى الموضوعات الآتية:

- السلطة الدينية و"الناطق الرسمي"
- الانقسام والحرب الأهلية
- الرسومات الكاريكاتورية الدائرية وردود الأفعال حولها
- الدين الأخير والوحي الأخير
- الحل الشمولي: "الإسلام هو الحل"
- الدين الأصغر عمراً
- مسألة التكفير
- هل موضوع السلام يقتصر على الدين الإسلامي أم يشتمل على الأديان الأخرى
- الإلحاد

وفي المقابل تطرق Tarek Ramadan إلى الموضوعات الآتية:

- تعددية التفسيرات بشأن النصوص الدينية
- الدين والتجارب التاريخية
- الرسومات الكاريكاتورية الدائرية وردود الأفعال حولها
- الفرق بين الإسلام والتراث الإغريقي
- معنى الجهاد
- النص الديني والقارئ

¹ في مناظرة بين هيتشنز وتوني بلير في مدينة تورنتو بكندا بعنوان: هل الدين قوة للخير بالنسبة للعالم؟ Is Religion A Force For Good in The World قال: "... بسبب الوعود الإلهية التي قدمت بخصوص هذه الأرض، فلن يحل السلام أبداً، ولن يتوصلوا أبداً إلى تسوية، بدلاً من ذلك سيحل الشقاء والعار والطغيان، وسيقتل الناس أبناء الآخرين في سبيل كتب قديمة، وكهوف وقطع أثرية.

-من يتحدث باسم الدين الإسلامي

-وضعية المرأة في العالم الإسلامي¹

-إشكالية العلمانية في المجتمع الأمريكي ووجود مرجعية

2- ماهي الأدلة التي اعتمد عليها كل طرف:

يمكن تصنيف الأدلة التي اعتمد عليها Christopher Hitchens بناءاً على القضايا الفرعية التي تطرق إليها في العناصر التالية:

أ- ممارسات المسلمين: الانقسام والحرب الأهلية-الرسومات الكاريكاتورية الدافكرية وردود الأفعال حولها

ب- غياب السلطة الدينية: أو "الناطق الرسمي" المخول بتفسير النصوص الدينية أو تصنيف السلوك المطابق للإسلام من غيره.

ج- شعارات لا تعكس الواقع الموضوعي : ادعاءات الحل الشمولي دون إثباتات موضوعية

د- انتقاء بعض القضايا الدينية: مثل مسألة التكفير، والعقوبات الصارمة للمسلم وغير المسلم.

يمكن تصنيف الأدلة التي اعتمد عليها Tarek Ramadan بناءاً على القضايا الفرعية التي تطرق إليها في العناصر التالية:

أ- الدين يتعامل مع الطبيعة البشرية التي ليست دائماً مسالمة، ومن البديهي أن هناك تعاليم تتعلق بحالات السلم وحالات الحرب

ب- تعددية التفسيرات بشأن النصوص الدينية- ضرورة التمييز بين النص الديني والقارئ- وأيضاً الفرق بين الدين والتجارب التاريخية

ج- ممارسات المسلمين متباينة: الرسومات الكاريكاتورية الدافكرية وردود الأفعال حولها متباينة لدى المسلمين، وهناك أصوات تدعو إلى التعامل العقلاني والحضاري واعتبار الرسومات الكاريكاتورية ضمن دائرة حرية التعبير.

3- الإطار الإعلامي والياته المستخدمة في الخطاب الديني:

1-1- الإطار الإعلامي في خطاب رمضان

جمع "طارق رمضان" بين الإطار المجرد والإطار المحدد ، وبرز الأول في السياق المنهجي، بحيث أن التعاليم الدينية مع حالات السلم وحالات الحرب، وهو ما يتوافق مع الطبيعة البشرية التي تتضمن كليهما. وعند الحديث عن الدين لا بد من إثارة القضايا الدينية، وليس تسليط الضوء على ما يكتب إعلامياً وسرد العناوين Headlines. وبرز الثاني من خلال السياق التاريخي الذي يشير فيه إلى ضرورة فهم الأساسيات أولاً ثم بعد ذلك التفسيرات والتجارب التاريخية. لأنه يمكن إثبات أي شيء من خلال التاريخ، ففي الوقت الذي يمكن الحديث عن أحداث 11 سبتمبر ، يمكن الحديث أيضاً عن 16 قرناً للإمبراطورية العثمانية والتي كانت حضارة عظيمة تعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود وحتى غير المتدينين. بالإضافة إلى السياق الواقعي: وطريقة تعاظم المسلمين مع العديد من الأحداث التي تتعلق مثلاً بالرسومات الكاريكاتورية وحرق المصحف الشريف تتمايز بين البلاد ذات الغالبية المسلمة ومسلمي البلدان الغربية، ومن الإنصاف أن يتم الإشارة إلى هذا تعددية ردود الأفعال بدل التركيز على جانب واحد، إضافة إلى أن التوظيف السياسي للأحداث لا يمكن تجاوزه، وهنا يؤكد على أن ردود الفعل من بداية صدور الرسومات الكاريكاتورية إلى خروج التظاهرات استغرقت بضعة أشهر، مما يدل على أن هناك جهات معينة تقف وراء تحريك الشارع في البلاد ذات الغالبية المسلمة.

¹ يشير عالم الرياضيات الدكتور جيفري لانغ " Jeffery Lang " في كتابه "الصراع من أجل الإيمان-انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام Struggling to Surrender: some Impressions of an American Converted to Islam ، إلى أن موضوع وضع المرأة في الإسلام، ودون أدنى شك، يقف اليوم أكبر عائق ما بين الإسلام وقبوله في الغرب. وبالإضافة إلى ذلك فإن الكثير من المعتنقين الغربيين للإسلام سوف يعيشون بعزلة عن المجتمع الإسلامي حتى تحل هذه القضية بما يرضيهم.

"...without a doubt, the issue of the status of woman in Islam stands today as the biggest barrier between Islam and its acceptance in the west. In addition, many Western converts will live apart from the Muslim community until this matter is resolved to their satisfaction." PP 138; 139

أ-2-آليات التأطير في خطاب رمضان:

أ-2-1-إعادة تأطير :

إعداد طارق رمضان تأطير موضوع المناظرة الذي تمحور حول "هل الإسلام دين سلام؟ وأشار بأن الأولى هو طرح الإشكال التالي : "ماهو الجواب الذي يأتي من الدين حول السلام والعنف؟ وهل نملك شيئا يساعدنا للتوجه نحو السلام ؟ وتجدر الإشارة إلى أن طارق رمضان أضاف إلى السؤال الذي لا يتفق معه، الإشارة إلى أن الانشغال حول موضوع السلام ينطبق على ديانات أخرى: المسيحية، اليهودية، البوذية.

ويمكن أن تكون هذه الإشارة مقصودة من حيث كون موضوع السلام لا يمكن اختزاله في دين معين، بطريقة قد تنصرف إلى إمكانية وضعه في "قصاص الاتهام" من ناحية، و قد تبرأ ضمينا ساحة غيره من الأديان من ناحية أخرى.

وقد استخدم "طارق رمضان" آلية إعادة التأطير عندما رد على قول "هيتشنز": هل تعلمون ماذا يدعي الإسلام؟ يدعي أنه آخر الأديان. فقال بأنه ليس كافيا أن تنتهي بهذه العبارة لأن أهم شيء هو: ماذا يقول الإسلام عن الأديان الأخرى؟ هل يقول بأن عليكم إزالتهم من الأرض؟ لا، واستدل بالاية الكريمة " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا.." إذن احترمو المسيحيين، احترمو اليهود، احترمو من كانوا قبلكم.

أ-2-2 التلميحات:

تلميحات "عدم مشروعية" الحرب على العراق وأفغانستان: أشار "طارق رمضان" إلى الغزو الأمريكي والغربي ضد العراق وأفغانستان بقوله: "باسم حقوق الإنسان يمكن أن تدعو إلى الحرب في العراق وأفغانستان حيث قتل الكثير من الأبرياء". "لا تنسوا بأن دم بريء عراقي أو أفغاني رجلا كان أو امرأة عزيز كعزة دم أمريكي رجلا كان أو امرأة.

من خلال أفضل الأيديولوجيات، باسم حقوق الإنسان، باسم الديمقراطية قد تستعمل من قبل الناس للدعوة للأسوأ. واستخدم التلميح نفسه عندما قال موجهها كلامه لهيتشنز أنه باسم السلام أيدت الحرب على العراق. ¹ وربما قصد عدم مشروعية تأييد هيتشنز للحرب على العراق في الوقت الذي يحاول فيه التأكيد على ارتباط الإسلام والمسلمين بالعنف، بطريقة توحى بأنه مناصر للحلول السلمية، في الوقت الذي شهد العالم مقتل الأبرياء باسم حقوق الإنسان.

أ-2-3 نغمة أو نبرة الصياغة: ايجابية: وتدل عليها عبارات تتضمن توصيفا ايجابيا، تضع الديانات في بوتقة واحدة إزاء قضايا السلم والحرب، بطريقة توحى بوجود تعايش بين معتنقيها، ويتضح ذلك في ما يتعلق بالنصوص الدينية بشكل إجمالي: "ستجد أشخاصا يستخدمون نصوصنا وقيمنا أحيانا للسلام وأحيانا للحرب".

وما يتعلق بالنظرة الايجابية للعقوبات وارتباطها بالسياق المناسب: "الشريعة تبدأ بالعدالة الاجتماعية، والعقوبات هي جزء من السيرة الكلية". وهنا يعارض طارق رمضان التصور الذي يشير إلى أن البداية تكون بالعقوبات التي تتحقق بها العدالة الاجتماعية.

ولم يكتفي طارق رمضان بفكرة تعايش الديانات، بل أضاف إليها اقتراحا لحل المسألة الفلسطينية، يبدو غير مألوف في الخطابات السياسية والدينية المعاصرة، "الحل بالنسبة للمسألة الفلسطينية هو قيام دولة واحدة يتعايش فيها الأفراد تحت نفس القواعد القانونية".

وحول النقطة الأخيرة نشير إلى أنه لا يتضح على وجه التحديد طبيعة السلطة في هذه الحالة، وربما يكون الفصل فيها ديمقراطيا باعتماد آلية الانتخابات، وهنا احتمال التفوق الفلسطيني وارد إذا أخذنا المتغير الديمغرافي بعين الاعتبار، بالإضافة إلى أن الإسلام ينمو ويتحرك في بيئة الحريات، وهنا احتمالات توسيع دائرة المسلمين واردة من خلال استقطاب معتنقين جدد لهذا الدين، والأمثلة التي تدل على ذلك من التاريخ الماضي والحاضر متعددة²

¹ نشر في موقع BBC.co.uk أن هيتشنز أيد الحرب على العراق، ودعم جورج بوش الابن في الانتخابات الرئاسية عام 2004، مما أدى إلى اتهامه بالخيانة من قبل البعض.

² نذكر على سبيل المثال لا الحصر "مرم جيلة" مارغريت ماركوس سابقا(1934-2012) كاتبة أمريكية مسلمة تنتمي لأبوين يهوديين ألمانيين عاشا في نيويورك، من مؤلفاتها: Islam and Modernism, Islam and the Muslim woman today, Islam versus the west

أ-2-4 الكلمات الدالة

الاختلاف "Diversity": الاختلاف بين الديانات والثقافات أمر وارد، ويقتضي التعامل معه، وإيجاد الآليات التي تكفل التعايش السلمي بينها، وتقبل الاختلاف كأمر واقع لا يمكن تجاوزه.

الدين متشعب: يؤكد طارق رمضان أنه من الممكن التطرق إلى موضوع السلام أو العنف من وجهة نظر الدين بشكل عام وليس في الدين الإسلامي وحده، وهنا تبدو محاولة لتجاوز حصر الموضوع في الإسلام وحده دون غيره، وقد يكون الدافع وراء ذلك هو تصحيح الصور النمطية السائدة في الإعلام الغربي مثلاً والتي تربط الإسلام بالعنف والإرهاب. ولذلك تتكرر تعبيرات عن الإسلام " مثله مثل المسيحية أو اليهودية أو البوذية"، إضافة إلى تذكيره بالاختلافات الموجودة في فهم النصوص الدينية وتنزيلها على الواقع: " انه مجموعة مختلفة من التأويلات والمذاهب"

التعميم: يشير طارق رمضان إلى أنه ليس من الصواب أن تعمم وتقول: كل الحروب كانت بسبب حقوق الإنسان، وكل هذه الفلسفات صحيحة أو خاطئة، أو أنها تدعو إلى فلسفة أو دين عنيف.

الاختزال والتبسيط: كما نقد طارق رمضان حرص المثقفين وحتى الصحفيين على تشعب الفلسفة وتعقدها في مقابل عرض مبسط ومختزل للدين.

التاريخ: هنا تأكيد على التمييز بين النصوص الدينية والتجارب التاريخية والتي قد تتضمن جوانب إيجابية وأخرى سلبية" لا تعتمد على التاريخ، لأنه من خلال التاريخ تستطيع إثبات ما تريد".

النص الديني والقارئ: يشير طارق رمضان إلى أن "المشكلة ليست في النص الديني ولكنها في القارئ"
"قل لي كيف تقرأ، وسأقول لك ماذا في عقلك لكن ليس بالضرورة ماذا في النص".

الجهاد: يقدم طارق رمضان تعريف الجهاد على النحو الآتي: "جاهد الشر وقدم الخير، والشر يكون في نفسك قبل كل شيء، وبعدها تحاول الحصول على الخير والحصول على الخير هو السلام الداخلي. إذن الجهاد ليس الطريق نحو الحرب، بل الطريق نحو السلام"، وهذه المقاومة من أجل إعادة تشكيل العالم للأفضل هي معنى الجهاد"

ب-الإطار الإعلامي في خطاب هيتشنز:

ب-1-الإطار الإعلامي في خطاب هيتشنز:

جمع "هيتشنز" بين الإطار المجرد والإطار المحدد، ويبرز الأول في -الإطار الموضوعي: والمتعلق بأن الدين (أو أتباعه) يدعي الشمولية وعدم القابلية للمساءلة والتناقض الموجود ادعاءات تقدم حلول حول مختلف القضايا وأدلة إثباتها، بالإضافة إلى مسألة من يمثل الدين " و من هو المخول للحديث باسم النبي.

ويبرز الثاني من خلال السياق الواقعي: ويتضمن المشهد السياسي المعيش في البلاد العربية والإسلامية عموماً ونشير إلى حالات الانقسام والحروب الأهلية. بالإضافة إلى طريقة تعاظم المسلمين مع العديد من الأحداث التي تتعلق مثلاً بالرسومات الكاريكاتورية وحرق المصحف الشريف والتي تخللتها ممارسات عنيفة. يضاف إليها أمثلة أخرى مثل الموقف من "سلمان رشدي" صاحب كتاب آيات شيطانية.

ب-2-آليات التأطير في خطاب هيتشنز:

ب-2-1-إعادة تأطير: استخدم هيتشنز آلية إعادة التأطير في سياق تفسيره لرفض انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ووضعه في سياق تاريخي يرتبط بما سمي جرائم في حق الأرمن، وليس كون تركيا بلد إسلامي.

ب-2-2 التلميحات: صرح هيتشنز أنه "بقراءة الكتب المقدسة لا تستطيع الجزم أن هذا الكتاب أو ذاك الكتاب هو كلمة الله. ما يستطيع قوله أنه إذا كانت هذه الكتب تعتبر كلمة الله، فإنها ستكون عندما يواجه يوماً سيئاً " وقد ضحك الجمهور لذلك، فأشار هيتشنز أنه مسرور لوجوده في بلد يتم الاحتفاء فيه بمثل هذه "الدعابات" بالضحك بدل العنف.

ويبدو أن القصد من المقارنة هو إسقاطها على ما حدث واقعيًا من ردود فعل لبعض المسلمين تجاه الرسوم الدائريّة المسيئة للرسول "صلى الله عليه وسلم"، وبين رد الفعل تجاه عبارته السابقة عند الجمهور الحاضر "أو بعضه في المناظرة.

ب-2-3 -الانتقاء: عندما تطرق إلى قضية "سلمان رشدي" والمظاهرات التي تحركت في بعض المناطق الإسلامية ضد كتابه آيات شيطانية، ووصل الأمر أن هناك من خصص جائزة لمن يقبض عليه.

ب-2-4 نغمة أو نبرة الصياغة: سلبية: ويدل عليها استخدام أو تكرار هيتشنز لألفاظ وعبارات مثل: الحرب الأهلية، الإرهابيون، عقوبة صارمة، القتل، أسلحة الدمار، الأعمال الانتحارية

ب-2-5 الكلمات الدالة:

الحرب الأهلية: التي تجري داخل الإسلام، وبالأحرى بين أتباع الديانة الإسلامية.

ويبدو أنها إشارة إلى ما حدث ويحدث في بعض المناطق العربية والإسلامية، بصرف النظر عن خلفياته ومدى مطابقتها للواقع.

التكفير: "استعداد قوي لمواجهة أي تحدي لتعاليمه بالكفر

العقوبات الصارمة: والتي تحدث للمسلم وغير المسلم

الشمولية: انه حل شمولي¹، وما المخيف في كلمة شامل، إنما الحروف الخمسة من كلمة استبدادي شمولي، انه مطلق ومتضمن لكل شيء غير قابلة للمساءلة.

السلطة الدينية: ليس هناك من له سلطة التحدث باسم النبي، وتأسيسا على ذلك لا يمكن معرفة من هو المسلم الحقيقي، وضمنا يعني أنه ليس هناك ما يؤكد أن من تنسب إليهم أعمال العنف والإرهاب ليسوا بمسلمين حقيقيين.

خاتمة:

يمكن في ختام هذا المقال بلورة معالم التصور الغربي لثنائية الإسلام وموضوع السلام، من خلال ما يتبدى في خطاب هيتشنز في النقاط الآتية:

1-الأحكام التقييمية حول الإسلام تنطلق أساسا من ممارسات المسلمين وطريقة استجاباتهم للأحداث بالدرجة الأولى. وهناك العديد من الأدلة والشواهد الواقعية المستوحاة مما يحدث في البلاد الإسلامية مثل حالات الانقسام والحروب الأهلية ونحو ذلك. وهي تشكل مادة خام لمن يريد كيل الاتهامات ضد الدين الإسلامي وأتباعه.

2- توظيف انتقائي للأحداث التاريخية من أجل إدانة التعاليم الدينية.

3-توظيف بعض التعاليم الدينية بصورة معزولة عن السياق والشروط الموضوعية المناسبة لتطبيقها، وكذا تعدد التفسيرات بشأنها.

4-أسلوب التعميم بغرض بلورة صورة مختزلة عن الدين انطلاقا من حوادث تاريخية معينة.

5- الخلط بين الدين وتعاليمه والتجارب التاريخية وممارسات المتدينين.

6-استعمال أسلوب الفكاهة وتعمد إضحاك الجمهور المتلقي، وهو ما يهدف إلى التأثير السيكولوجي على الطرف المتحاور معه، وإضعاف موقفه عن طريق استمالة الجمهور.

كما يمكن بلورة معالم التصور الإسلامي لثنائية الإسلام وموضوع السلام، من خلال ما يتبدى في خطاب طارق رمضان في النقاط الآتية:

1-نقد الإطار الذي تم وضع السؤال فيه، لأن الصياغة تبدو انتقائية، ومختزلة في دين واحد، على الرغم من أن الدين موجه للبشر، ويتعامل مع الطبيعة البشرية، ويتضمن توجيهات في حالات السلم والحرب.

¹**Totalitarian:** (of a country or system of government) in which there is only one political party that has complete power and control over the people.

- 2- التاريخ أو الأحداث التاريخية ليست معيارا لتقييم الدين، لأنه يمكن إثبات كل ما تريده انطلاقا مما جرى من تجارب تاريخية. لذلك من الضرورة التمييز بين الدين وتعاليمه والممارسات التاريخية.
- 3- الإشارة إلى بعض الأمثلة عن الجوانب المضيفة للحضارة الإسلامية وما ميزها من تقبل للآخر وتعايش معه على نحو متميز، وعلى سبيل المثال الإمبراطورية العثمانية.
- 4- التمييز بين طرق استحابة المسلمين في البلدان ذات الغالبية المسلمة، وكذا أصوات المسلمين ومواقفهم في البلدان الغربية، ونذكر على سبيل المثال الموقف من الرسوم الكاريكاتورية .
- 5- اعتبار الرسوم الكاريكاتورية تندرج ضمن حرية التعبير التي لا ينبغي التفاعل معها بالطريقة التي شهدناها في العديد من الأقطار الإسلامية.
- 6- المقاومة الفلسطينية شرعية، والاعتداء على المدنيين من الإسرائيليين لا مسوغ له. (وهو الرأي الذي يختلف فيه عما يراه الدكتور يوسف القرضاوي الذي يرى فيه بأن الإسرائيليين كلهم عسكريون وبالتالي يتم التعامل معهم على هذا الأساس¹)
- كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المناظرة حملت بعض النقاط تبدو غير مألوفة في الخطاب الديني الإسلامي مثل : الموقف من المسألة الفلسطينية: واقترح دولة واحدة يتعايش فيها الجميع تحت سقف تشريعات وقوانين واحدة. وكذا الموقف من العمليات التي تستهدف إسرائيليين "مدنيين" والتي توصف "بالاستشهادية أو الانتحارية" في الأراضي الفلسطينية المحتلة من طرف "إسرائيل"
- لا يفوتني في ختام هذه الورقة الإشارة إلى أن البرامج الحوارية والمناظرات التي تتعرض إلى قضايا مرتبطة بالدين الإسلامي متعددة، ويبدو أن الدراسات التحليلية حولها لا تفي بالحاجة معرفيا، خصوصا أن تسليط الضوء حولها يمكننا من التعرف على الطرق والكيفيات المستخدمة في تشكيل الصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين، وهو ما لا يسوغ تجاهله من قبل المهتمين بالدراسات الإعلامية.

¹ أكد الدكتور يوسف القرضاوي أن تفجير المجاهدين أنفسهم ضد المحتلين تعد مقاومة شرعية، ومن أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، وشدد على أنها "فدائية بطولية استشهادية، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر"

وأوضح الشيخ القرضاوي في تصريح خاص للجزيرة نت أن "المنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه، أما الفدائي فيقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمتة، ويقا تل أعداء الله بسلاح جديد وضعه القدر في يد المستضعفين ليقاوموا به جيرو ت الأقوياء المستكرين" عن موقع الجزيرة نت.